كلية التربية للبنات/ قسم علوم القرآن **٢٠٢٢/١/٢٧**

د. ميسون صباح داود

مشاركة ورقة عمل بحثية مقدمة في ندوة (الحداثة والنص القرآني)

بعنوان: "منهج الحداثيين في تفسير النص القرآني"

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين.

وبعد...

ظهرت في الآونة الأخيرة أصواتا تحاكي عقول الشباب قبل الكبار تدعي التيسير في فهم الدين وتخفيف الأحكام الشرعية على بني البشر، وتنادي بالإصلاح والفهم الجديد لكتاب الله تبارك وتعالى بدعوى التشديد من قبل الدعاة المصلحين وبدأ تأثيرها واضحا من خلال الخوض في شبهات جعلوها مصائد مع الأسف حتى لذوي التخصص من العلم الشرعي وهذه الأصوات تنادي بالحداثة والفهم الجديد للدين والشريعة وراح منهم من يفسر النص القرآني على هواه ومبتغاه حتى يلبس على الناس دينهم وعقيدتهم أمثال محمد شحرور وعلي منصور الكيالي وغيرهم من مجددي الفهم للنص القرآني، وليس مؤلما أن يتأثر النشئ والشباب بمثل هؤلاء ولكن الأشد ايلاما من عد هؤلاء مفكرين ومصلحين ومجددين فعلا، وهو يحمل العلم الشرعي يدرسه ويدرسه، ويعتد به وبرأيه ومن حملة الشهادات العليا في هذا المجال، لذلك كان لا بد من بيان منهج هؤلاء الضالين المضلين وفضحهم وفضح نواياهم تجاه كتاب الله ودينه؛ ليعي المسلمون خطورة ما يقوله هؤلاء وأثره على أنفسهم وأبنائهم وليتنبه الغافل عن دينه وعقيدته ويستدرك على نفسه خطئها ما دام في القلب نبض، بالعودة لكتاب الله وفهم نصوصه التشريعية والعقدية قبلها ليحصن نفسه من خط منزلقات وشبهات الفكر الحداثي الذي ظهر لنا في هذا الزمان ندا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

فقد أدرك الفكر الحداثي عظم مكانة القرآن الكريم عند المسلمين، وقوة النفوذ الذي تتمتع به الآيات القرآنية في بناء المفاهيم والقيم لديهم، لذا عمد الحداثيون الى منهجية في سبيل زلزلة مكانة النص القرآني في عقل المسلم وكيانه فاتخذوا مجموعة من الأسس الممنهجة للتعامل مع الآيات القرآنية بصورة عامة، وآيات الاحكام بصورة خاصة وتناولوها بالشرح والتفسير، فحولت كثير من هذه النصوص

المجمع على ثبوتها أو دلالتها الى موضع الشك والزيف مما أدى الى انتاج تفسيرات نكراء وفهم شاذ وخاطئ.

ومن خلال استقراء كتب الحداثيين التي تناولت قضايا التفسير وموضوعاته يتبين أنها تشير الى عدة أسس منهجية اعتمدوها في تفاسيرهم فصارت شبه اجماع عليها؛ لان المنهجية التي ارتكز عليها الحداثيون في تعاملهم مع النصوص القرآنية كانت قائمة على محور غربي، ويمكن أن توجز هذه المنهجية في النقاط الآتية:

١. اعتماد حاكمية العقل على النقل :

جعل العقل المصدر الأول في فهم القرآن الكريم ويذهبون في ذلك لما ورثوه عن الغرب، فهم يجعلون العقل حاكماً على النقل ومقدماً عليه فيما يتصل بأوامر الآيات التي تتعلق بالأحكام الشرعية، "فكل ما يتعلق بالشريعة من علاقات يفترض أن تتفق مع العقل أولاً، ولا يكون الوحي الا مؤكداً؛ أي اعمال العقل في فهم النص وهذا يجعل العقلانية هي المرجعية الإسلامية فيما يتعلق بالشريعة" .

ويجعلون الحق للعقل في أن تخضع جميع أحكام الشريعة للنظر والتأمل فما وافق منها منطق العقل أخذو به، وما خالف منها منطق العقل رفضوه حتى وإن كان من العبادات التي شأنها توقيفية، وبذلك يصبح النص القرآني دون أي ضوابط طالما أن العقل يمتلك القدرة التامة على التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال .

وبذلك نتج عن هذا الأساس انعدام الدليل النقلي الخالص من الكتاب والسنة، وهكذا أسقطوا أي دليل نقلي وحملوا العقل والتجربة مهمة البحث عن الحقيقة، ونادوا بإلغاء النقل وإطلاق العقل دون قيد ولا شرط في تفسير وتحليل النص القرآني وهم بذلك نزعوا عن هذه الامة أهم ما ميزها الله بها عن الأمم الا وهو منهج النقل والاتباع فقالوا: بأن العقل نقيض النقل، والابداع نقيض الاتباع .

٢. استخدام كل النظريات النقدية والفلسفية المستحدثة :

يرى الحداثيون لابد من التعامل مع الآيات القرآنية طبقاً للمنهجيات الألسنية الحديثة، ورأى بعضهم ضرورة نقل مناهج علوم الأديان المتبعة في تحليل ونقد التوراة والأناجيل وتطبيقها على النصوص الشرعية ، بحيث كانت ترتكز تفسيراتهم على "التحرر من سلطة النص القرآني وهو المدخل الذي ولج منه المشروع الحداثي في تفكيك النص القرآني والتخلص منه مضموناً ومعنى" وهم بذلك يسعون الى ان تكون قراءتهم كلية ومقاصدية تنطلق من التفكيك الى التحليل ، واستخدام نمط

القراءة البنيوي، وهو نمط يؤكد امكان إعادة قراءة التراث النقدي على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات علم اللسانيات .

وبالتالي نتج عن تطبيق أساليب النقد الغربية نزع القداسة عن النصوص القرآنية وذلك من خلال الغاء القواعد والضوابط الشرعية لتفسير القرآن الكريم واخضاعه لمحك النقد والتفكيك والتحليل، مما ترتب عنه مساواة النصوص القرآنية مع أي خطاب بشري، وبذلك أصبحت هذه النصوص ميداناً لصولات العقل النقدي يتحكم فيها ويحكم على نصوصها بما توصله تلك المناهج التي ابتكرها الانسان في اطار الجهود اللسانية واللغوية التي تفترض بالنصوص المقدسة أنها نصوص مات مؤلفوها .

٣. تعميم الصفة التاريخية على الآيات القرآنية:

كانت منهجية الحداثيين قائمة على إخضاع القرآن الكريم لمحك النقد التاريخي المقارن ، مما أدى الى إضفاء النسبية على آيات الأحكام بمعنى أن هذه الأحكام لا تحمل معاني ثابتة أو مطلقة، وإنما تختلف معناها باختلاف المشاغل الثقافية والاجتماعية في سياق الظروف التاريخية المتقلبة، وعلى هذا الأساس يرون إن العديد من أحكام القرآن أحكام تاريخية مرتبطة بزمانها المحدد كأحوال المرأة في الميراث ، ولهذا يمكن الاجتهاد بشأنها وشأن ما يماثلها بتغير الأوضاع والأحوال .

وأدى هذا المنهج الى اختلاف في القيمة التشريعية لآيات الأحكام وصفتها الإلزامية ، بحيث تصبح الاحكام والتشريعات لا تصلح لكل زمان ومكان، وهذا يعني نزع ثبوت الدلالة عن نصوص آيات الأحكام نهائياً وتحويلها الى نصوص متغيرة الدلالة حسب الظروف التاريخية للقارئ؛ لانهم يعتبرون أن النص الديني انما هو تناص، أي ملتقى نصوص تلاقت عبر التاريخ وان كل نص قابل للتأويل؛ لأنه نص مجازي ولذا يمكن أن يؤول حسب مصالح وحاجات الناس، ومتطلبات الحقبة التاريخية والقصد من ذلك اضلالاً عن الحق وتحريف للنصوص كما يريدون ويشتهون .

٤. الغموض والتدليس في المصطلحات:

جعلوا نصوص الآيات تحوي معاني محجوبة، وأسرار باطنة لا يكشف عنها الا قواعدهم الحداثية، وما كان مفهوماً منها لا يوافق ما وضعت عليه ، فقاموا بلي عنق النصوص من خلال :

أولا: انزال آيات الأحكام منزلة توجيهات لا الزام معها، بحيث ترد التوجيهات القرآنية على شكل نصائح وارشادات توجه بالأساس الى ضمائر المسلمين وسرائرهم، فهم بذلك يعتبرون أن الاحكام الواردة في القرآن ما هي الا وصايا ومواعظ يستعين بها المسلم في تنظيم حياته في شتى المجالات .

ثانيا: قلب ترتيب الحقائق الخاصة بالقرآن، وأسقطوا على الموضوعات الأدوات المنقولة غير التي وضعت لها في الأصل، فقد جاءوا بترتيب لأوصافها واحكامها يخالف الترتيب الذي أقره التداول الإسلامي، فقدموا ما ينبغي تأخيره وأخروا ما ينبغي تقديمه، وجعلوا الأصل فرع، والفرع أصل، وأنزلوا الأدنى منزلة الأعلى والأعلى منزلة الأدنى، ولم يكتفوا بهذا الحد، بل جاءوا الى الأخبار والآراء التي ذكرها المفسرين أنها أفكار شاذة وشبهات زائفة لا يمكن اتباعها، فجعلوها حقائق متبعة وبنوا عليها أحكاماً أدت الى الفساد والميل عن الحق وجادة الصواب .

ثالثا: تخفيف الاحكام وعمدوا الى ذلك بحجة أن القرآن الكريم كتاب هداية وما تضمنه من أحكام معظمها موجز لا يعالج التفاصيل، فضلاً عن إن كثير من آيات الأحكام عندهم لا تنص على الجزاء الآخروي مما أدى الى تعطيل معاني الثواب والعقاب الواردة في الآيات القرآنية ويدعون انها لم تعد صالحة لمخاطبة الإنسان المعاصر، كما يجدون في معنى الرحمة التي تبتدأ بها سور القرآن بتعبير " بسم الله الرحمن الرحيم" ومعنى التوبة يمكن أن تجب العقوبات وتكون مدعاة لإيجاد سند تشريعي لتخفيف الأحكام .

٥. عدم الأخذ بالأحاديث التي تفسر الآيات القرآنية ولا يلتفتون مطلقاً الى الآثار الواردة في التفسير، في حين يعتبرها محمد شحرور وهو أحد تلامذة المدرسة الحداثية، يعتبرها من أكبر المغالطات حيث قال: "يقولون صحيح مسلم وصحيح البخاري ويقولون انها أصح الكتب بعد كتاب الله، ونقول نحن: هذه احدى اكبر المغالطات التي مازالت المؤسسات الدينية تكره الناس على التسليم بها، تحت طائلة التكفير والنفي" .

ومن المعلوم أنه ليس هناك فرق بين السنة والقرآن في وجوب الايمان بهما ولزوم حجيتهما، فهي أصل من أصول الدين الإسلامي، وفيها بيان لمجمل القرآن و أحكام زائدة عليه واجب الأخذ بها كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها و تحريم لحوم الحمر الأهلية، وقد حذر النبي ﷺ من عدم الأخذ بما ورد فيها من حلال وحرام فعن المقدام بن مَعْدي كَرِبَ، عن رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رَجُلٌ شَبعانُ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وَجَدتُم فيه من حلالٍ فأَحِلُّوه، وما وجدتُم فيه من حَرَامٍ

فحَرِّمُوه، ألا لا يَحِلُّ لَكُم لحمُ الحِمَارِ الأهليِّ، ولا كُل ذي نابٍ من السَّبُع، ولا لُقَطةُ مُعاهَدٍ إلا أنْ يستغنيَ عنها صاحِبُها، ومن نزلَ بقومٍ، فعليهم أن يَقْرُوه، فإنْ لم يَقرُوه فله أن يُعقِبَهم بمثل قِرَاه"

وعليه فإن التشكيك بالسنة تشكيك بمصادر الشريعة، وهو تشكيك في القرآن أيضاً، كما انه تشكيك في حقيقة الوجود الإنساني، ودعوة الى العبثية بقوانين الفكر ،

هذه أبرز الطرق التي سلكها الحداثيون أثناء قراءتهم وتفسيراتهم للآيات القرآنية، واتباعهم لهذه المناهج يعني أن القرآن ليس قائداً للمسيرة ولا كتاب هدى وصلاح، بل هو عقبة وعائق يقف في طريق حداثتهم وتطورهم، لذا كان لزاماً عليهم التخلص منه ونزع القداسة عن نصوصه لتحقيق أهدافهم وخططهم، ومحال ماتصبوا اليه نفوسهم فقد تكفل الله بحفظ كتابه فقال تعالى: " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون"

.....

المصادر:

التوظيف الحداثي لآيات المرأة واشكالياته_ جمال البنا نموذجاً_، كفاح كامل أبو هنود،.
نحو فقه جديد، جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، القاهرة
روح الحداثة، طه عبد الرحمن.

الخطاب القرآني والمناهج الحديثة في تحليله _دراسة نقدية_، صليحة بن عاشور. القرآن الكريم والقراءات المعاصرة، طه جابر العلواني
القرآن والتشريع قراءة جديدة في آيات الأحكام، الصادق بلعيد، مركز النشر الجامعي، تونس، ط٢.
القراءة المعاصرة للنصوص الشرعية دراسة تحليلية نقدية، عبد السلام أحمد فيغو.